فايز قزق: أبحث عن الصندوق الأسود للشخصية

فنان لا يؤمن بالنجومية وعلاقته بالراحل شوقي الماجري أعمق من «دقيقة صمت»

فايز قزق مخرج وممثل وأكاديمي سوري، له العشرات من الأعمال المسرحية ممثلا ومخرجا، ومن أشهر أدواره السينمائية شخصية إسماعيل في فيلم "رسائل شفهية" للمخرج عبداللطيف عبدالحميد، كما شارك في العديد من الأعمال الدرامية التلفزيونية كان أحدثها مسلسل "دقيقة صمت" للمخرج التونسي الراحل حديثا شوقي الماجري. "العرب" التقت قزق في دمشق للحديث عن مهنته كأستاذ في المعهد وعن تجربة عمله الطويلة مع الماجري.

بطل الأدوار المُربكة والمركّبة معا

لمى طيارة
كاتبة سورية

دمشق – لم يبرق نجم الفنان السوري فايز قزق كما يستحق رغم أنه صاحب البصمة الأكاديمية على الكثير من الوجوه التي لمعت في الدراما السورية والعربية، فهو أستاذ التمثيل الذي خرّج عشرات الدفعات من الممثلين الذين باتوا اليوم نجوما لامعين على الساحة العربية وليس فقط السورية.

"العرب" سألت الفنان السوري المخضرم عن سبب تعلقه بالمعهد العالي للفنون المسرحية كل هذه السنوات رغم أن المعهد ومهنة التدريس لا تؤتي أكلها ماديا مقارنة بالأجور التي قد يتقاضاها من عمله في الدراما التلفزيونية، فيجيب "أولا، أنا واحد من مؤسسي المعهد كطالب بداية، وكواحد من أوائل المعيدين فيه ثانيا، ثم من أوائل من تم إيفادهم للدراسة في الخارج، والمعهد منشأة سورية، وببسيط العبارة ودون أي فلسفة أو تنظير، أنا أحب بلدي وأحب دمشق، هذه المدينة التي ولدت وعشت وكبرت فيها.. وكامل أركانها في وجداني، كما أن المعهد يشكّل بالنسبة لي البيت أو الملجأ، إنه أشبه بمحمية تحميني كما حمت الكثير من الأساتذة والطلبة والخريجين وبعضا من الموظفين من الدخول في متاهات الفساد التي عمّت البلاد".

> تشابه أدوار بعض النجوم يمنح المُشاهد إحساسا بكونهم يعملون في مسلسل واحد مجزّأ على مدى عشرين عاما

ويضيف "كما أن التراث الذي كونته لنفسي والذي كان معظمه مسرحيا وددت أن ينشط وأن يتابع من قبل أفراد كنت مشرفا على تدريبهم وتدريسهم ليكونوا أفضل مني على خشبة المسرح وفي السينما وأندادا حقيقيين لي، كما حصل مثلا في مسرحية 'تقاسيم على العنبر' مع المخرج جواد الأسدي، حيث كنت في الصباح أستاذا لهم وفي المساء زميلا معهم في العرض، أصارع لأكون في مستواهم الجسدي والروحي، كما أن عملي اليوم مع هؤلاء الشباب الصغار الذين يقاربون ابني في العمر، جعل فترة الشباب بالنسبة لي طويلة جدا على مستوى الجسد والصوت والصراع، وجعلني أتعرف على عالمهم الذي ربما يكون نزقا".

هو وشوقي الماجري

شاءت الصدف أن يكون فايز قزق واحدا من أبطال مسلسل "دقيقة صمت" العمل الأخير للمخرج التونسي الراحل حديثا شوقي الماجري، عن تلك التجربة وعن علاقته بالراحل، يقول "علاقتي بالمرحوم شوقي الماجري قديمة، حيث سبق وأن عملت معه في أربعة أعمال درامية، وهي: شهرزاد وعمر الخيام وأبناء الرشيد وأخيرا دقيقة صمت، في الحقيقة كانت في معظمها أعمالا لطيفة رغم التعب والصعوبات التي رافقتها، وهي أعمال أعتز بها ليس فقط على مستوى الشخصيات التي قدمتها، بل أيضا على مستوى العلاقة مع المخرج الذي يعتبر رجلا أكاديميا بامتياز درس السينما في بولوندا، وكان همه تقديم صورة سينمائية في الأعمال التلفزيونية، فيهتم بالكوادر والصيغ اللونية وزوايا التصوير، رغم بوحه الدائم باستحالة استخدام اللغة السينمائية في الدراما التلفزيونية، ومعه حق في ذلك، فالسينما تحتاج إلى جمهور، بينما التلفزيون يفتّت الجمهور ويجبره على الجلوس في المنزل، وأهم ما كان يميزه كمخرج اهتمامه برأي الممثل، وخاصة حين يسأله كيف تحب أن تتحرك أمام الكاميرا، هي علاقة أكاديمية صرفة".

وأثار مسلسل "دقيقة صمت" الذي كتبه السيناريست السوري سامر رضوان ضجة كبيرة وقوبل باعتراضات أثناء عرضه، وهنا تسأل "العرب" قزق هل أخافته التجربة قبل خوضها؟ فيجيب "جلست طويلا مع الراحل شوقي الماجري وتحدثت مع الممثلين الذين تجمعني بهم مشاهد لأفهم العمل، ولا أعرف لماذا أخاف من هكذا دور، فعندما نتكلم عن معضلة اجتماعية، أو بعبارة أدق عن مرض اجتماعي له علاقة بفئة ما من المجتمع سواء كان قطاعا مدنيا أو عسكريا أو أمنيا أو حتى دينيا، وأقول لشعبي إننا بهذا المنطق لا يمكن أن نصل لمستقبل زاهر نستطيع من خلاله مناطحة وعراك الأمم الأخرى المتطورة، أعتقد أنني من خلال طرح مثل هذه المسائل على طاولة النقاش، أكون قد أضفت له الشيء الكثير، وهذا هو دوري كفنان".

ويسترسل "الحقيقة أن هذا المرض لا يمكن تجاهله في المجتمع، كما لا يمكن لأحد معالجته أو معرفته سواء كان طبيبا أو مهندسا، ولكن يوجد من هم متخصّصون في علوم الاجتماع وعلوم النفس قادرون على معالجته، كما يأتي إلى جوارهم الفنانون وأقصد هنا المسرحيون والسينمائيون وطبعا الأدباء، وعادة ما يسعى فنانو المسرح الحقيقيون إلى ما يمكن تسميته التجديد (الانسلاخ والتوسّف) ليس فقط على مستوى الجلد والخلايا، بل أيضا على مستوى الأفكار، وبالتالي عندما تتاح لي مثل تلك الفرصة في التلفزيون لا أرفضها، فالتلفزيون شئنا أم أبينا منتشر انتشارا واسعا ويقتحم البيوت ويجلد البشر ويصادر أفكارهم، وهو المطلوب في مثل هذه الحالات الإشكالية".

قناة اليوتيوب

يدرس فايز قزق شخصياته دراسة تفصيلية، لأن التمثيل بالنسبة إليه ليس فقط فنا وإنما هو علم له قواعد ودون هذه القواعد يبدو الفنان خاويا لا يحمل أي فلسفة، وهو بالإضافة إلى ذلك لا يؤمن بما ينضاف إلى الممثل من مكياج وملابس ومسائل تقنية خاصة بالإخراج بشقيه السينمائي والتلفزيوني إلا كعوامل إضافية لا كعوامل تحريضية، كما أن مسألة النجومية لا تعنيه كثيرا، وهنا تسأله "العرب" هل لدراسته الأكاديمية عامل في كل ذلك؟

ويجيب "يفترض أن تكون السنوات الأربع من الدراسة الأكاديمية عاملا إضافيا لتقوية البحث في مسألة اشتقاق مخلوق من إعداد، فالشخصية التي تقدم سواء في المسرح أو التلفزيون أو حتى في الإذاعة على مستوى الصوت، يفترض أن تكون هناك أسس لدراستها، وهذه الأمور مألوفة في السينما والمسرح من خلال بروفات الطاولة، حين نقرأ النص ونبحث في الشخصيات وما يمكن أن تفعله بناء على وضعها الاجتماعي والديني الأخلاقي، تاريخها وتجربتها في الجامعة والمدرسة والعمل والحياة الاجتماعية بشكل عام والأسئلة المحرجة في حياتها وصندوقها الأسود الذي يحمل الأسرار العميقة، وبطبيعة الحال ليست كل الشخصات تحمل صندوقا واحدا، بينما في الدراما التلفزيونية حيث لا توجد بروفات طاولة، على الممثل أن يجتهد ليعرف خبايا الشخصية لتظهر وكأنها تشبهه وتتقاطع معه دون أن تتطابق معه تماما، والسر في ذلك أن مطابقة الشخصية للممثل شيء مُربك، فمن الصعوبة للممثل أن يسيطر على نفسه وأن يقلّد نفسه، فنرى اليوم أن الممثلين أو من يسمون بالنجوم وكأنهم يعملون في مسلسل واحد مجزّأ على مدى عشرين عاما".

فازت مؤخرا قناة فايز قزق على اليوتيوب بجائزة، عن فكرة إنشاء القناة ومدى علاقته بالميديا وإيمانه بها كوسيلة هامة للترويج لأي فنان، يقول فايز قزق "إن الفكرة جاءت عبر صديق سوري يعيش في لندن حين أقترح عليّ إنشاء القناة والإشراف عليها، سألت واستفسرت عن الموضوع ووازنت ما بين الأشياء التي قد تكون مفيدة أو ضارة بالنسبة لي، واعتبرت تلك القناة شكلا من أشكال الاستفتاء الشعبي، فأعرف من خلالها مدى محبة الناس أو كراهيتهم، ولكن في الحقيقة فاجأني الرقم، فبعد أقل من سنة على إنشاء القناة، تمكّنت من الحصول على ما يقارب الـ150 ألف متابع، وهذا يدل على أنني لست شخصا مجهولا بالكامل، كما أنني لست معروفا بالشكل الأمثل أيضا".

ذكريات عن «نادي السينما» في قاهرة السبعينات

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

لا أظن أن الذين قاموا بتأسيس نادي القاهرة للسينما كانوا يدركون أو يتوقعون أن يلعب النادي دورا تاريخيا كبيرا وحاسما في حياة الكثير من الشباب الذين التحقوا بعضويته وعاصروا تجربته وواظبوا على حضور عروضه ونشاطاته.

ورغم أهمية التجربة وما أسهمت به في خلق قاعدة شديدة الأهمية للتذوّق والوعي بدور وأهمية السينما، ودفعت أجيالا من الشباب لدراسة السينما والاشتغال بها، إلاّ أن من المدهش أن هذه التجربة مضت وانقضت، دون أن يكتب أحد تاريخها.

كان نادي القاهرة للسينما مشروعا طموحا من مشاريع وزارة الثقافة في عصر الوزير ثروت عكاشة. ولا شك أن الفكرة ولدت من قلب حالة الزخم السينمائي الذي شهدته مصر بعد هزيمة 1967، أي في خضم حركة المراجعة الثقافية والسياسية التي اجتاحت البلاد، وشغلت المثقفين، بحثا عن أسباب الهزيمة، والرغبة في التحرّر من الثقافة التقليدية العتيقة، والتطلع إلى ثقافة أخرى أكثر حداثة.

كانت هناك رغبة في تطوير السينما، ومد تجربة "القطاع العام السينمائي"، على استقامتها، وربط العملية الإنتاجية بالعملية الثقافية، أي إتاحة الفرصة لظهور ثقافة سينمائية جديدة يمكنها أن تساهم في تطوير الذوق والوعي بحيث تتغيّر نظرة الجمهور في تعامله مع الفيلم.

وراء تلك الرؤية كان هناك عدد من المثقفين والنقاد الذين أرادوا تطوير تجربة "جمعية الفيلم" (التي تعد الكيان الثقافي السينمائي الأعرق في مصر)، لكن لا شك أيضا أن النظرة الرسمية وقتها تلاقت مع رغبة النقاد في الانفتاح السينمائي على التيارات الحديثة والتجارب السينمائية الجديدة في العالم، ولكن ليس بغرض التطوير والتثقيف وزيادة الوعي فقط، بل أيضا لاستيعاب واحتواء حركة السينمائيين الجدد من الشبان الغاضبين الذين سينجحون في تأسيس "جماعة السينما الجديدة" التي أثارت الكثير من الحراك الإيجابي في واقع السينما المصرية، ثم أخذ شباب هذا التجمع يطالبون بـ"حصة" مناسبة من مخصّصات الإنتاج السينمائي في "القطاع العام"، أي من خلال مؤسسة السينما الحكومية التي كانت تنتج عددا لا بأس به من الأفلام سنويا.

وكان الصراع بين القديم والجديد قد انفجر في المجتمع المصري على جميع المستويات في تلك الفترة التي عرفت أيضا نشاطا كبيرا وزخما في إصدار المجلات والجماعات الثقافية، الأمر الذي دفع السلطة إلى احتواء مثل هذه الجماعات وتقديم بعض التنازلات المحدودة لها.

في 1968 تأسّس نادي السينما، وكان المركز القومي للأفلام التسجيلية قد تأسّس في العام السابق (1967) ثم جماعة السينما الجديدة (1968)، ثم مركز الفيلم التجريبي (1969)، وفي ما بعد تأسّست جمعية نقاد السينما المصريين (1972) وجماعة السينمائيين التسجيليين (1972).

وسط هذا المناخ تأسّس "نادي السينما"، أداره في البداية الناقد مصطفى درويش، وقدّم عروض موسمه الأول (1968–1969) في قاعة "إيوارت" بالجامعة الأميركية. وكان مصطفى درويش قد تولّى من قبل منصب مدير الرقابة على المصنفات الفنية على فترتين في وزارة الدكتور ثروت عكاشة في الستينات، وشهدت الفترة الثانية لترؤسه الرقابة بعد وقوع هزيمة 1967 الكثير من المتاعب مع ارتفاع أصوات ممثلي تيار الإسلام السياسي وما أعلنوه من اعتراضات كثيرة في مجلس الأمة على ما كان يصرّح بعرضه عروضا عامة، من أفلام فنية جريئة منها ما لم يكن معتادا لدى شرائح كبيرة من الجمهور.

وقد خذل المثقفون المصريون مصطفى درويش ولم يقف أحد إلى جواره في معركته مع خفافيش الظلام، فأقيل من منصبه ثم ذهب ليؤسّس نادي السينما. وكان درويش مثقفا سينمائيا رفيعا وهاويا عظيما من هواة السينما شأن كل من لعبوا دورا حقيقيا في تطوير الوعي بأهمية فن السينما في مصر والعالم العربي، وكان مثلهم قادما من خارج السينما، فقد كان في الأصل قاضيا درس القانون ووصل إلى أعلى مناصب القضاء.

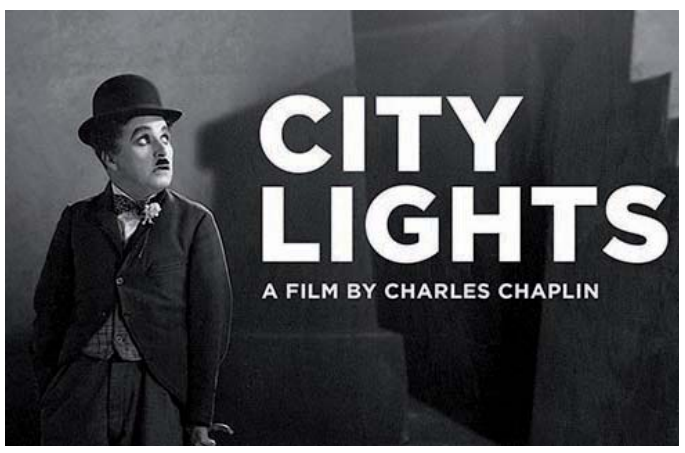

نادي القاهرة للسينما.. تجربة مضت وانقضت

وعندما فتح النادي أبوابه في بداية الإعلان عن تأسيسه، تقدّم للحصول على عضويته أكثر من خمسة آلاف عضو، تحت تصوّر أن النادي سيعرض "الأفلام الممنوعة"، بكل ما يمكن فهمه بالطبع من كلمة "ممنوعة" هنا، والمقصود الأفلام التي تتضمن مناظر جنسية مثيرة، إلاّ أن وزارة الثقافة أوضحت أن الهدف ليس عرض أفلام ممنوعة، بل عرض الأفلام ذات القيمة الفنية الرفيعة، ولذلك رفض النادي قبول المئات من الطلبات واكتفى بنحو ألف عضو فقط، ولكن هذا العدد زاد في ما بعد وأصبح النادي ينظم عرضين أحدهما في سينما أوبرا والثاني في قاعة الجامعة الأميركية.

تأسّس "نادي السينما" في القاهرة في الوقت الذي صدرت فيه عن وزارة الثقافة أول مجلة ثقافية حقيقية للدراسات ومقالات النقد السينمائي وهي مجلة "السينما والمسرح" وكانت تصدر فصلية في طباعة أنيقة، وتحتوي على قسمين الأول للمسرح والثاني للسينما.

والمفارقة أن الكاتب المسرحي سعدالدين وهبة كان يرأس تحرير قسم السينما فيها. وكان قد كتب أيضا السيناريو لعدد قليل من الأفلام. وضمت هيئة تحرير المجلة الأسماء التالية: أحمد الحضري، صبحي شفيق، سمير فريد ويوسف شريف رزق الله. وكان معظمهم في سن الشباب

> نادي القاهرة للسينما تجربة أسهمت في خلق قاعدة شديدة الأهمية للتذوق والوعي بدور وأهمية السينما لدى المجتمع المصري

وقتذاك. وهم الذين ستبرز كتاباتهم بعد ذلك في النشرة الأسبوعية لنادي السينما، بالإضافة إلى كتابات فتحي فرج ورفيق الصبان وسامي السلاموني وأحمد رأفت بهجت وأنور خورشيد وخيرية البشلاوي وفوزي سليمان ومجدي طوبيا، وكثيرين غيرهم، منهم مخرجون كانوا يكتبون دراسات ومقالات في نقد الأفلام أيضا مثل هاشم النحاس وخيري بشارة وأحمد راشد ونبيهة لطفي ومسعود أحمد.

وقبل منتصف السبعينات ظهرت أسماء جديدة مثل أمير العمري ويسري نصرالله وفايز غالي وعلي أبوشادي وكمال رمزي والفاروق عبدالعزيز. وفي ما بعد استمر الكثير من هؤلاء في ممارسة النقد السينمائي، بينما اتجه غيرهم إلى العمل في السينما أو في الوظائف الإدارية المرتبطة بالثقافة السينمائية، خاصة في مجال نوادي السينما التي انتشرت في ربوع مصر.